الاميركية . فتقول : « ولا يمكن للشاه ان يربح صداقة الدول المجاورة واحترامها الا اذا تخلى عن احلامه التوسعية ، وعمل في حدود امكاناته وطاقته . وعندئذ يمكن للولايات المتحدة ان تتخلى عن سياستها ، وان تستنبط سياسة خارجية متينة متوازنة بالنسبة الى الدول العربية وايران معا . ان مثل هذه السياسة تتيح امام الولايات المتحدة المجال للتعاون بشكل اكمل مع دول المنطقة ، وتنفيذ مشاريع تنمية مختلفة يمكن أن ينجم عنها دمج رأس المال العربي والايراني بالتقنية الاميركية بشكل يفيد العالم كله » (ص : ٨١) .

وتلح الكاتبة في عدة مرات على ضرورة تغيير السياسة الاميركية ، معتبرة ان تباشير هذا التغير قد بدأت ، واعطت عدة امثلة على ذلك . الا انها لم تدرك انه بمقدار ما تتغير سياستنا نحن اتجاه الولايات المتحدة وبمقدار ما نقترب نحن من معسكر الامبريالية ونبتعد عن معسكر حركات التحرر الوطني والاشتراكية ، تبدأ السياسة الاميركية بالتغير في اتجاهنا . وتقول في هذا المعنى : « ان الاختيارات المفتوحة امام مخططي سياسة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط محدودة جدا . فالولايات المتحدة آلمت الجماهير العربية كثيرا ، وتجاهلت لفترة طويلة حاجاتها الاساسية ، ولهذا فان اي تحول في السياسة الاميركية يتطلب امرين معا : ازالة آثار الاخطاء السابقة ، والتهيئة لعلاقات مستقبلية افضل » (ص : ٧٧) .

وتؤكد في بعض صفحات الكتاب ، ان السياسة الاميركية هي مجرد اخطاء باخطاء ، وليست من صلب المصالح الرأسمالية الامبريالية . بل انها ترى ان تحسن علاقات الغرب مع الاتحاد السوفياتي يعود فقط الى تلك الاخطاء وزلات اللسان التي يقع فيها بعض المسؤولين الاميركيين . فتقول : « ومن المفارقة التي تدعو الى السخرية ، ان الاخطاء المستمرة للسياسة الاميركية هي المسؤولة عن نجاح السياسة السوفياتية في المنطقة ، والنتيجة هي ان الولايات المتحدة فقدت امتيازاتها واحدا بعد الاخر » (ص : ٤١) .

وتحاول ايضا ان تستعمل كل وسائل الاغراء لجذب الولايات المتحدة الينا سواء بالنسبة الى النفط وحاجة السوق الاميركية اليه ، ام بالنسبة الى السوق العربية الاستهلاكية للبضائع الاميركية المصدرة الينا . وتعتبر ان هناك تناقضا بين اقوال رؤساء اميركا وأفعالهم وخاصة نيكسون ، فتقول : « ففي تقرير حول السياسة الاميركية لعام ١٩٧٠ وضع الرئيس نيكسون مبادىء واهدافا مثالية للسياسة الاميركية في الشرق الاوسط ، تجعل كل من عايش التطبيق الفعلي لهذه السياسة ينفجر غاضبا من جسامة التناقض بين الطرح النظري المتزن والتدابير العملية المتحيزة » (ص : ٣٩) . وتقول في مكان اخر : « ولو ان الولايات المتحدة اتبعت سياسة مختلفة لجنبت كل من العرب والاسرائيليين الكثير من الالام والتضحيات ، ولوجدت نفسها في مركز افضل في هذه المنطقة » (ص : ٣٥ — ٣٦) .

قلنا ان نوايا الكاتبة الحسنة ومواقفها التقدمية لا تبرر الاخطاء . فالعلاقات الدولية تحكمها المصالح قبل اي شيء اخر ، ومصالح الدول ليست انعكاسا لأمزجة البشر الذاتية بل نتاج النظام القائم وانعكاس لمصالح الطبقة الحاكمة ، هذا اولا . ثانيا ان الاخطاء في العلاقات الدولية وخاصة بين دولة كبيرة ودولة صغيرة ليست ناجمة عن صدف وسوء تقدير ، الا في حالات استثنائية جدا ، بل تعكس نوعية العلاقة بين الدولتين والمصالح المتبادلة بينهما . ثالثا ان الولايات المتحدة لا يمكن المراهنة عليها ، ولا يمكن التعويل على سياستها ولا يمكن الموازنة بينها وبين دولة اشتراكية ، لأن السياسة الاميركية مرهونة بتأمين مصالحها في المنطقة وحماية مصالحها تعني سيطرتها على مرافقنا الاقتصادية وبالتالي توجيه مواقفنا السياسية .

وليد نويهض